القسم السادس

فى مصارع العشاق

المبرّد وأصحابه والمجنون

قال المبرد: خرجت أنا وجماعة من أصحابى مع المأمون فلما قربنا من نحو الرقة فإذا نحن بدير كبير فأقبل إلىّ بعض أصحابى فقال: مل بنا إلى هذا الدير ننظر من فيه ونحمد البارى على ما رزقنا من السلامة. فلما دخلنا إلى الدير رأينا مجانين مغلولين وهم فى نهاية القذارة. فإذا منهم شاب عليه بقية ثياب ناعمة فلما بصر بنا قال: من أين أنتم يا فتيان حياكم الله. فقلنا نحن من العراق. فقال: يا أهل العراق أنشدونى بالله أو أنشدكم. فقال المبرد: والله إن الشعر من هذا لطريف. فقلنا أنشدنا فأنشأ يقول:

الله يعلم أننى كمـــد ... لا أستطيع أبث ما أجـد
روحان لى روحٌ تضمنها ... بلدٌ وأخرى حارهـا بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها ... صبر ولا يقوى بها جلد
وأظن غائبتى كشاهـدتى ... بمكانها تجـد الذى أجـد

قال المبرد إن هذا لطريف والله ردنا. فأنشأ يقول:

لما أناخـوا قبيل الصبح عيرهم ... ورحلوهـا فسارت بالهوى الإبلُ
وأبرزت من خلال السجف ناظرهـا ... ترنـو إلىّ ودمـع العيـن منهمل
وودعت ببنـان عقـدهـــا عنم ... ناديت لا حملـت رجـلاك يا جمل
ويلى من البين مـاذا حل بى وبهـا ... من نازل البين حـان الحين وارتحلوا
يا راحـل العيس عجل كى نودعهـا ... يا راحل العيس فى ترحالك الأجل
إنى على العهـــد لم أنقض مودتهم ... فليت شعرى لطول العهد مـا فعلوا

فقال رجل من البغضاء الذين معى: ماتوا. قال: إذن فأموت. فقال له إن شئت. فتمطى واستند إلى السارية التى كان مشدوداً فيها فما برحنا حتى دفناه.

الأصمعي وأحد العشاق

قال الأصمعي: بينما كنت سائراً في البادية مررت بحجرٍ مكتوب عليه هذا البيت:

أيا معشر العشاق بالله خبروا إذا حل عشق بالفتى كيف يصنعُ

فكتبت تحته:

يداري هـــواه ثم يكتم سره ويخشع في كل الأمور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبًا تحته:

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى وفي كـل يومٍ قلبـــه يتقطـع

فكتبت تحته:

إذا لم يجد صبراً لكتمـــان سره فليس له شيءٌ سوى الموت أنفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابًا ملقى تحت ذلك الحجر ميتًا وقد كتب قبل موته:

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا سلامي إلى من كان للوصل يمنع

* * *

موت الفتاة بموت حبيبها

قال الأصمعي: بينما كنت نائمًا بقرب مقابر البصرة رأيت فتاة على قبر تندب وتقول:

بروحي فتى أوفى البرية كلهـا وأقواهم في الحب صبراً على الحب

فقلت: أيتها الفتاة بمَ كان أوفى البرية وبمَ كان أقواها؟ فقالت: يا هذا إنه ابن عمي هويني فهويته فكان إن باح عنفوه وإن كتم لاموه فأنشد بيتين شعر وما زال يكررهما إلى أن مات. فوالله لأندبنه إلى أن أصير مثله في قبر إلى جانبه. فقلت لها: أيتها الفتاة فما البيتان. فقالت:

يقولون لي إن بحت قد غرك الهوى وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فمـــا لامرئ يهوى ويكتم أمره من الحب إلا أن يموت فيعذرا

ثم إنها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا فأسفت عليها ودفنتها قرب حبيبها.

* * *

الحارث وعفراء بنت الأحمر

نشأ الحارث بن الفرند مع ابنة عمه عفراء بنت الأحمر الخزاعية ممتزجين بالألفة والوداد إلى أن بلغا سن الرشد. فتزوج بها وأقام معها مدة ينمو الهوى فى قلبيهما. فعزمت يومًا على زيارة أبيها فجهزها إليه. فأقامت مدة وكل من أبويهما يأبى أن يجيء بنفسه خشية أن تزرى به العرب. فمرض الحارث وكتب إليها:

صبـرت على كتمـان حبـكِ برهةً ولى منك فى الأحشاء أصدق شاهد

هو الموت إن لم تأتنى منك رقعـة تقوم بقلبى فى مقـام العوائدِ

فأجابته تقول:

كفيت الذى تخشى وصرت إلى المنى ونلت الذى تهـوى برغم الحـواسـدِ

ووالله لولا أن يقـــــال تظننّا بى السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما فى الرقعة وتنشق عاطر شذاها غشى عليه فجاؤوه فإذا هو ميت

فقالوا لها ما كان عليك لو أجبتهِ زورة. قالت خشيت أن يقال صبت إليه ولكنى قاتلة نفسى ولاحقة به قريبًا. فلم يشعروا بها إلا وهى ميتة إلى جانبه.

* * *

عبد الله بن عجلان وهند

خرج عبد الله بن عجلان إلى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماءً يقال له نهر غسان. وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه. فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهنَّ على تلك الحالة فمكث يسترق النظر إليهنَّ. فصعدن وبقيت هند وكانت طويلة الشعر. فأخذت تمشطه وتسبله على بدنها. وهو يتأمل شفوف بياض جسمها فى خلال سواد الشعر. ونهض ليركب الناقة فلم يقدر وقعد

ساعة. وكان قبل تلك النظرة تصفُّ له العرب ثلاثة رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة. فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وأوهن قواه فأنشد:

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة إذا شئت لمسًا للثريا لمستها
أتتنى سهام من لحاظ فأرشقت بقلبى ولو أسطيع ردًا رددتها

ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبر صديقًا له. فقال اكتم ما بك واخطبها إلى أبيها فإنه يزوجك بها وإن أشهرت عشقها حرمتها. ففعل وخطبها. فأجيب. فتزوج بها وأقاما على أحسن حال وأنعم بال لا يزداد فيها إلا غرامًا. فمضى عليهما ثمان سنين ولم تحمل. وكان أبوه ذا ثروة وليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد يحفظ له النسب والمال. فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى. فعاود أباه. فأمره بطلاقها. فأبى. فألحّ عليه. فلم يجب وأصرّ على البقاء معها. فبلغ أباه يومًا أنه فى حالة السكر فعدها فرصة وأرسل إليه يدعوه. فمنعته هند وقالت: والله لا يدعوك لخير وما أظنه إلا عرف أنك سكران فأراد أن يعرض عليك الطلاق. فأبى عبد الله إلا الخروج. فجاذبته. فلم يذعن لها. ثم سار إلى أبيه وعنده أكابر العرب فجعلوا يعنفونه ويتناشدونه من كل مكان حتى استحيا فطلقها. فلما سمعت بذلك احتجبت عنه. فوجد بها وجدًا قاتلاً وأنشد يقول:

طلقت هندًا طائعًا فندمت بعد فراقها
فالعين تذرف دمعها كالدرّ من آماقها
متحلبًا فوق الردى فتجول فى رقراقها
خودٌ رداحٌ طفلةٌ ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألذّ حديثها فأسرّ عند عناقها

ولم يزل عبد الله دنفًا سقيمًا يقول فيها الشعر ويبكيها إلى أن بلغه أنها تزوجت برجل من بنى نمير فزاد حزنه ومات آسفًا عليها.

* * *

عمرو بن كعب وعقيلة ابنة أبى النجاد

كان عمرو بن كعب يهوى ابنة عم له تدعى عقيلة وكانت من أجمل نساء العرب وأوسعهنّ علمًا وأدبًا. فشغف بها وزاد غرامًا والتياعًا فخطبها إلى عمه. فطلب منه مهرًا يعجز عنه. فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج إلى أبرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة. فلما ذهب فى الطريق مرّ بعراف فاستعلم منه الأمر. فأخبره أنه ساع فيما لا يدرك. فعاد فوجد عمه قد روّج العقيلة لرجل من فزارة. فهام على وجهه إلى اليمامة أما عقيلة فإنها بعد عقد الزواج أخذت تبدى لزوجها صدًا وحقدًا فخرج سائرًا إلى حيث لا يدرى. وأقامت العقيلة ببيت أبيها لا تتناول إلا الأقل من الطعام بقدر ما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو. أما عمرو فإنه ما زال هائمًا تائهًا من وجده شاخصًا طرفه إلى السماء أيامًا فوقف ذات يوم وقد أظلم الدجى وخلا المكان من الرقيب فتذكر عقيلة وما جرى فأنشد:

إذا جن ليلى فاضت العين أدمعا ... على الخد كالغدران أو كالسحائب
أود طلوع الفجر والليل قائلٌ ... لقد شدت الأفلاك بعد الكواكب
فما أسفى إلا على ذوب مهجتى ... ولم يدرِ يومًا كيف حال الحبائب

فدخل عليه يومًا صديق له فوجده غاصًا بالضحك مستبشرًا. فسأله فقال:

لقد حدثتنى النفس أن سوف نلتقى ... ويبدلُ بعدٌ بيننا بتدانِ
فقد آن للدهر الخؤون بأنه ... لتأليف ما قد كان يلتمسانَ

ثم شهق شهقة فاضت نفسه. فبلغ حبيبته ذلك فحزنت عليه غاية الحزن وسئمت العيش بعده، فبينما كان الفرزدق خارجًا ذات يوم فى طلب غلام له إذ مر بقرب ماء لبنى فأمطرت السماء فلجأ إلى بيت هناك. فلاحت له جارية. كأنها القمر فحيت ثم قالت: ممن الرجل. قال تميمى. قالت من أيها قبيلة. فقال من نهشل بن غالب. قالت: أين تَؤُمُّ؟ قال اليمامة. فتنفست الصعداء ثم قالت:

تذكرت اليمامة إن ذكرى ... بها أهل المروءة والكرامة

فآنس بها بهاءً ولطفًا فقال: أذات خدرٍ أم بعل. فقالت:

إذا رقد النيام فإن عمرًا ... تؤرقه الهموم إلى الصباح

فتقطع قلبه الذكرى وقلبى فلا هو بالخلى ولا بصاح
سقى الله اليمامة دار قومٍ بها عمرو يحن إلى الرواحِ

فقال لها: من هو. فأنشدت تقول:

إذا رقد النيام فإن عمراً هو القمر المنير المستنيرُ
وما لى فى التبعل من براحٍ وإن رد التبعل لى أسيرُ

ثم شهقت شهقة فماتت فسأل عنها فإذا هى العقيلة حبيبة عمرو بن كعب.

* * *

عامر بن غالب وجميلة بنت إميل

قال الأصمعى: رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه وضؤل جسمه ورق جلده. فتعجبت فدنوت منه أسأله عن حاله. فلم يرد جوابًا. فسألت جماعة حوله عن حاله فقالوا اذكر له شيئًا من الشعر يكلمك. فقلت:

سبق القضاء بأننى لك عاشق حتى الممات فأين منك مذاهبى

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته. ثم أنشأ يقول:

أخلو بذكرك لا أريد محدثًا وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكى فيطربنى البكاء وتارة يأبى فيأتى من أحب أسيرا
فإذا أنا سمح بفرقة بيننا أعقبت منه حسرة وزفيرا

قلت أخبرنى عن حالك. قال: إن كنت تريد علم ذلك فاحملنى والقنى على باب تلك الخيمة. ففعلت. فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه جهده.

ألا ما للمليحة لا تجود أبخل ذاك منها أم صدودُ
فلو كنت المريضة جئت أسعى إليك ولا ينهنهنى الوعيد

فإذا جارية مثل القمر خرجت فألقت نفسها عليه فاعتنقا مدة طويلة فجئت أفرق بينهما خشية أن يراهما الناس فإذا هما ميتان فما برحت حتى صليت عليهما ودفنا فسألت عنهما فقيل لى هما عامر بن غالب وجميلة بنت إميل.

* * *

عويمر العقيلي وابنة عمه

قال خلاد بن يزيد: كان عويمر العقيلي مشغوفًا بابنة عم له يقال لها ريًا. فزوجت برجل فحملها إلى بلاده. فاشتد وجده واعتل علة أخذه الهلاس بها. فدعوا له طبيبًا لينظر إليه. فقال له: أخبرني بالذي تجد. فقال منشدًا:

كذبت على نفسي فحدثت أنني ... سلوت لكيما ينظروا حين أصدقُ
وما عن قلى مني ولا عن ملالةٍ ... ولكنني أبقى عليك وأشفق
وما الهجر إلا جنة لي لبستها ... لتدفع عني ما يخاف ويفرق
عطفت على أسراركم فكسوتها ... قميصًا من الكتمان لا يتخرق
ولي عبرتان ما تفيقان عبرة ... تفيض وأخرى للصبابة تخفق
ويومان يومٌ فيه جسم معذب ... عليل ويوم للتفرق مطرق
وأكثر حظي منك أني إذا سرت ... لي الريح من تلقائكم أتنشق

ثم ذهب عقله. فقال الطبيب لأهله ومن حضره: ارفقوا به. ثم انصرف فما مكث إلا ليالٍ يسيرة حتى قضى عليه.

* * *

العاشق وعشيقته هلال

قال ابن الأشدق: كنت أطوف بالبيت فرأيت شابًا تحت الميزاب قد أدخل رأسه في كسائه وهو يئن كالمحموم. فسلمت فرد السلام ثم قال: من أين؟ قلت من البصرة قال أترجع إليها. قلت نعم. قال: فإذا دخلت النباج فاخرج إلى الحي ثم نادِ يا هلال يا هلال تخرج إليك جارية فتنشدها هذا البيت.

لقد كنت أهوى أن تكون منيتي ... بعينيك حتى تنظري ميت الحب

ومات مكانه. فلما دخلت النباج أتيت الحي فناديت يا هلال. يا هلال فخرجت إليّ جارية لم أرَ أحسن منها وقالت ما وراءك. قلت شاب بمكة أنشدني هذا البيت. قالت وما صنع. قلت مات. فخرت مكانها ميتة.

ابن عبد الرحمن بن عوف وابنة عمه

قال هشام الكلبى: كان بالمدينة رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وكان شاعراً وكانت عنده ابنة عم له كان لها عاشقًا وبها مستهترًا. فضاق ضيقة شديدة وأراد المسير إلى هشام إلى الرصافة. فمنعه من ذلك ما كان يجد بها وكره فراقها. فقالت له يومًا وقد بلغ منها الضيق: يا ابن عمى ألا تأتى الخليفة لعل الله تعالى أن يقسم لك منه رزقًا فتكشف به بعض ما نحن فيه فلما سمع ذلك منها نشط للخروج فتجهز ومضى حتى إذا كان من الرصافة على أميال خطر ذكرها بقلبه وتمثلت له فلبث ساعة مغمى عليه ثم أفاق فقال للجمال قف بنا فوقف فأنشد يقول:

بينما نحن فى بلاكث فالقا ... ع سراعًا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ ... ـراك وهنًا فما أطقت مضيا
قلت لبيك إذ دعانى لكِ الشو ... ق وللحادين ردا المطيا
فكررنا صدور عيس عتاق ... مضمرات طوين بالسير طيا
ذاك مما لقينا من دلج السير ... وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال: ارجع بنا فقال: سبحان الله قد بلغت طيتك هذه أبيات الرصافة فقال: والله لا تخطو خطوة إلا راجعة فرجع حتى إذا كان من المدينة على قدر ميل لقيه بعض بنى عمه فأخبره أن امرأته قد توفيت. فشهق شهقة وسقط عن ظهر الجمل ميتًا.

* * *

ابن العاص وجارية أحبها

عشق رجل من ولد سعيد بن العاص جارية بديعة الصوت شهيرة بالغناء. فهام بها دهراً وهو لا يعلمها بذلك. ثم إنه ضجر فقال: والله لأبوحنّ لها. فأتاها عشية فلما خرجت إليه قال لها: أخبرينى بالله هل أنشدتِ:

أتجزون بالود المضاعف مثله فإن الكريم من جزى الود بالود

قالت: نعم وأنشد أحسن منه، فقالت:

للذى ودنا المودة بالضعف وفضل البادى به لا يجازى

لو بدا ما بنا لكم ملأ الأرض وأقطارَ شامها والحجازا

فاتصل خبر هذين البيتين بعمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فابتاعها له وأهداها إليه. فمكثت عنده سنة ثم ماتت. فلم يلبث من حزنه عليها أن تبعها إلى دار البقاء.

* * *

اجتماع محبين بعد الموت

قال أبو الخطاب الأخفش: خرجت فى سفرٍ فنزلت على ماء لطىء. فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فإذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال. فأنشأ يقول:

ألا مال الحبيبة لا تعود أبخل بالحبيبة أم صدودُ

مرضت فعادنى عواد قومى فما لك لم ترَ فيمن يعود

فلو كنت المريض ولا تكونى لعدتكم ولو كثر الوعيد

ولا استبطأت غيرك فاعلميه وحولى من ذوى رحمى عديد

ثم أغمى عليه فمات. فوقعت الصيحة فى الحى فخرج من آخر الماء جارية كأنها خلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت تقول:

عدانى أن أعودك يا حبيبى معاشر فيهم الواشى الحسود

أذاعوا ما علمت من الدواهى وعابونا وما فيهم رشيد

فأما إذ حللت ببطن أرض وقصر الناس كلهم اللحود

فلا بقيت لى الدنيا فواقًا ولا لهم ولا أثرى عديد

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة منها. فخرج من بعض الأخبية شيخ فوقف عليهما وقال: والله لئن فرقت بينكما حيين لأجمعن بينكما ميتين ثم ضم كلاً إلى الآخر ودفنهما فى قبر واحد. فسألته فقال: هذه ابنتى وهذا ابن أخى.

سهلان القاضى وأحد العشاق

قال سهلان القاضى: بينا أنا مارٌّ فى طرقات جبل شورى وقد مرَّت بى قافلة عظيمة إذ نحن بشاب على الطريق ذاهب العقل مدهوش عريان وبين يديه ثياب ممزقة. فقال لى: أين رأيت القافلة؟ قلت فى موضع كذا. قال: آه من البين آه من البين آه من دواعى الحين... فقلت: وما دهاك؟ فقال:

شيعتهم من حيث لم يعلموا ... ورحت والقلب بهم مغرمُ
سألتهم تسليمة منهم ... علىّ إذ بانوا فما سلموا
ساروا ولم يرثوا لمستهتر ... ولم يبالوا قلب من تيموا
واستحسنوا ظلمى فمن أجلهم ... أحب قلبى كل من يظلم

* * *

شجاع والفتاة العفيفة

أحب أحد الشبان فتاة جميلة شهيرة بالورع والتقوى. ومن شدة حبه بها علاه السقام ورادت منه الأوجاع والآلام فتقاطرت عليه الأطباء دون أن يروا جدوى ولما أعيت الحيلة استكشفوه الأهل عن أمره فأبى إلا الكتمان ولما اشتد عليه حاله اختلى بامرأة من أنسبائه كبيرة السن من أهل الوفاء والمعروف فأطلعها جلية الأمر. فسارت توًا إلى الفتاة وخاطبتها سرًا بما فى نفسه لأجلها وطلبت منها أن تعطف عليه وتجبر خاطره الكسير. فقالت لها أبلغيه منى السلام وقولى: أى أخاه إنى والله قد وهبت نفسى لمليك يكافئ من أقرضه بالعطايا الجزيلة ويعين من انقطع إليه وخدمه بالهمم الرفيعة وليس إلى الرجوع بعد الهبة سبيل. فتوسلى إلى مولاك ومولاى أن يسبل علىّ ذيل المعذرة ويعاملنى على ذنبى بجميل المغفرة والسلام. فقامت المرأة من عندها وأخبرته بمقالتها. فبكى بكاء شديداً. فقالت له العجوز: والله يا بنى ما رأيت فتاة أشد تقاوة وطهارة منها. فاعمل بما أمرتك به ولا تلقِ نفسك بالتهلكة. ولو قدرت على عمل حيلة أنفذ بها لعملتها. ولكنى رأيت أنها

جعلت الله نصب عينيها ومن جعل الله تعالى نصب عينيه لها عن زينة الحياة. فجعل يبكى ويقول: أنى لى بلوغ ما دعت إليه ومتى يكون الملتقى. واشتد وجده حتى أفضى إلى الجنون فصار يجول فى الطرقات بحالة يرثى لها فيجتمع عليه الأولاد قائلين ومستهزئين مت عشقًا مت عشقًا فكان يقول:

أأفشى إليكم بعض ما قد يهيجنى ... أم الصبر أولى بالفتى عندما يلقى
أأوعد وعدًا ما له الدهر آخرٌ ... وأؤمر بالتقوى ومن لى بالتقوى
سلامٌ على من لا أسميه باسمه ... ولو صرت مثل الطير فى قفصٍ يلقى
ألا أيها الصبيان لو ذقتم الهوى ... لأيقنتم أنى محدثكم حقا
أحبكم من حبها وأراكم ... تقولون لى مت يا شجاع بها عشقا
فلم تنصفونى لا ولا هى أنصفت ... فرفقًا رويدًا ويحكم بالفتى رفقا

فلما اتضح لأهله حقيقة حبه وغرامه جعلوا يسألونه عن أمره فلا يجيبهم. وكتمت العجوز حقيقة أمره فأخذوه وحبسوه فى بيت لهم فلم يزل فيه حتى مات.

* * *

مصرع عاشق سمع آية الكتاب

قال عبد الرحمن الصوفى: كنت ببغداد بسوق النخاسين فرأيت قومًا مجتمعين فدنوت منهم. فرأيت شابًا مصروعًا مغشيًا عليه فقلت لواحد منهم: ما الذى أصابه. فقال: سمع آية من كتاب الله عزّ وجلّ. فقلت: وأية آية هى.

فقال: قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد:١٦] فلما سمع أفاق وأنشد:

ألم يأن للهجران أن يتصرما ... وللغصن غصن البان أن يتبسما
وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى ... أما آن أن يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحى ... كتابًا حكى نفس الوشاة منمنما

ثم صاح صيحة خر مغشيًا عليه فحركناه فإذا هو ميت.

* * *

محمد بن داود وإبراهيم بن نفطويه

قال إبراهيم بن نفطويه النحوى: دخلت على محمد بن داود الأصفهانى فى مرضه الذى مات فيه فقلت: ماذا ألم بك. قال: حب من تعلم أورثنى ما ترى. قلت ما منعك منه مع القدرة عليه. قال: الاستمتاع على وجهين النظر المباح واللذة المحظورة أما النظر المباح فقد أوصلنى إلى ما ترى وأما اللذة المحظورة فقد منعنى منها ما بلغنى عن النبى ﷺ قوله: من عشق وكتم وعف غفر الله له وأدخله الجنة. ثم أنشد أبياتًا لنفسه. فلما انتهى إلى قوله:

إن يكن عيب خده من عذارٍ فعيوب العيون شعر الجفونِ

قلت له: أنت تنفى القياس فى الفقه وتثبته فى الشعر. فقال: غلبة الهوى وملكة النفس دعوا إليه. فما كدت أفارقه حتى سمعت نعيه فأسفت عليه كثيراً.

* * *

جارية عبد الله بن جعفر وأحد الفتيان

قال عبد الله بن جعفر: اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فهمت فى حبها غاية الهيام. ففى ذات يوم قدمت إلىّ عجوز فذكرت لى أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وأنه يجىء كل ليلة فيقف بالباب ليسمع غناءها ويبكى شغفًا وحبًا. فعزمت على كشف الأمر فلما كان الوقت المذكور نظرت فإذا به قد دنا مقبلاً فلبث محدقًا بهما مصغ إلى ما يقولان. فإذا بها تكلمه ويكلمها ويشكو كل إلى رفيقه ما يلاقى من ألم البعد. فلما أشرق الصباح دعوت بها فحضرت فأخذتها بيدها وملت نحو الرجل فحركته فانتبه مذعوراً. فقلت لا بأس عليك ولا خوف هى هبة منى إليك. فدهش الفتى ولم يجبنى. فدنوت منه وقلت همسًا فى أذنه قد أظفرك الله بما تريد فقم وانصرف بها إلى منزلك. فلم يرد جوابًا فحركته فإذا هو ميت.

* * *

امرأة مات حبيبها

أحبت امرأة رجلاً وكان متمنعًا عنها زمانًا فراسلته أن يتزوج بها ففعل. وكانت بينهما ألفة شديدة فمكثا على ذلك مدة فمرض فمات. فجعلت المرأة تتردد إلى قبره ولزمته يومًا تبكي وتنشد:

كفى حزنًا أنى أموت بحسرةٍ ... وأغدو على قبر ومن فيه لا يدرى
فيا نفس شقى جيب عمرك عنده ... ولا تبخلى بالله يا نفس بالعمر
فما كان يأبى أن يجود بنفسه ... لينقذنى لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت فى النحيب وانكبت على القبر تبكى فإذا هى ميتة.

* * *

الشريف البياضى والجارية

عشق الشريف البياضى جارية لبنت فخر الملك فوجد بها وجدًا عظيمًا وزاد أمره حتى شاع بين الناس. ولم يزل حتى مرِضت فمرض هو أيضًا. فلما ماتت طاش عقله وذهب لبه فلحق بها وهو ينشد قائلاً:

دع الوقوف على الأطلال والدمن ... فليس ينفع مسكون بلا سكنِ
أما ترانى لا أثنى على طللٍ ... بعد الفراق ولا آوى إلى وطن
وكيف يأنس قلبى بالديار وقد ... أصاب فيها الردى من كان يؤنسنى
ان الذى أذاقونى فراقهم ... أفنيت بعدهم دمعى من الحزن
لله من لعبت أيدى المنون به ... ضنًا بما فيه أن يبقى على الزمن
جعلت روحى له من روحه عوضًا ... مقيمةً معه فى ذلك الكفن
فصار كالحى إذ روحى تحل به ... وصرت كالميت إذ لا روح فى بدنى
وكيف تصحب روحى بعده جسدى ... وكان إن غاب تأبى أن تصاحبنى

* * *

عبيد النعالى وأحد العشاق

قال عبيد النعالى: انصرفت من جنازة من مسجد الرضى فى وقت الهاجرة، فلما دخلت سكك البصرة اشتد علىَّ الحر، فتوخيت سكة ظليلة واضطجعت على باب دار فسمعت ترنمًا يجذب الفؤاد، فطرقت الباب واستقيت ماءً فإذا فتى بديع الجمال نحيل من شدة السقام أدخلنى إلى غرفة نظيفة له، فلما هدأ بالى وراقت أحوالى خرج الفتى ومعه وصيفة تحمل طستًا وماء ومنديلاً، فغسلت يدى وشربت وأخذت ردائى، وجلست فلبثت يسيراً وإذا بالفتى قد أقبل ضاحكًا ليؤنسنى والعبرة تنحدر من عينيه، ثم جىء بالطعام فأقبل يأكل كأنه نغص بما يأكله وهو فى ذلك يبسطنى، فلما انقضى أكلنا أتتنا بشراب فشرب قدحًا وشربت آخر ثم زفر زفرة ظننت أن أعضاءه قد انقضت وقال لى: يا أخى إن لى نديمًا فقم بنا إليه فقمت وتقدمنى ودخل مجلسًا فإذا قبر عليه ثوب أخضر وفى البيت رمل مصبوب فقعد على الرمل وطرح لى رداءه فقلت والله لا قعدت إلا كما تقعد وأقبل يردد العبرات ثم شرب كأسًا وشربت وأنشأ يقول:

أطأ التراب وأنت رهن حفيرة ... هالت يداى على صداك ترابها
إنى لأعذر من مشى إن لم أطأ ... بجفون عينى ما حييت جنابها
لو أن جمر جوانحى متلبس ... بالنار أطفأ حرها وأذابها

ثم أكب على القبر مغشيًا عليه فجاءه غلام بماء فصبه على وجهه فأفاق فشرب ثم أنشأ يقول:

اليوم آب لى السرور لأننى ... أيقنت أنى عاجلاً بك لاحقُ
فغدًا أقاسمك البلى ويسوقنى ... طوعًا إليكِ من المنية سائق

ثم قال لى قد وجب حقى عليك فاحضر غدًا جنازتى، قلت: يطيل الله عمرك، قال إنى ميت لا محالة، فدعوت له بالبقاء، فقال إن طاوعتنى فأنت قائل:

جاور خليلك مسعدًا فى رمسه ... كيما ينالك فى البلى ما ناله

فانصرفت وقد طال ليلى ونفذ صبرى وغدوت إليه فإذا هو قد مات.

* * *

المرقش وأسماء

كان المرقش من حبه لأسماء يألف البرارى ويلزم الخلاء ففى ذات يوم مرّ به راعٍ يرعى غنمه فرآه مطروحًا على الأرض، فقال له: من أنت؟ قال له المرقش: أنا رجل من مراد، فراعى من أنت؟ فأعلمه باسم سيده فإذا هو زوج أسماء، فقال له: تكلم مولاتك، قال: لا ولكن تأتينى جارية من عندها لأخذ اللبن، فنزع المرقش خاتمه وقال للراعى ألقه فى القدح فتصيب به خيراً، ففعل فلما رأته أسماء دعت بالجارية وسألتها عن الخبر، فقالت: لا أعلم فسألت زوجها عنه فأحضر الراعى فأعلمه الحقيقة فأشفق عليه وركب وأركب زوجته فأدركوا عمراً على آخر رمق فحملوه إليهم فلم يلبث قليلاً حتى مات فوجدوا أمامه رقعة فيها:

سما نحوى خيالٌ من سليمى ... فأرقنى وأصحابى هجودُ
حواليها مها بيض التراقى ... وآرامٌ وغزلانٌ رقود
نواعم لا تعالج بؤس عيشٍ ... أوانس لا تروح ولا ترود
سكنّ ببلدة وسكنت أخرى ... فقطعت المواثق والعهود
فما بالى رقيق القلب حبًا ... وما بالى أصاد ولا أصيد
أناس كلما أخلقت وصلاً ... عنانى منهم وصلٌ جديد

* * *

مسعدة بن واثلة ورملة بنت أثيلة

صادف مسعدة بن واثلة الصادمى فتاة حسناء قادمة لتملأ جرة من الماء فقالت له: هل لك أن تكفينى كلفة التعب، قال: وما تطلبين؟ قالت: ملء هذه الجرة وأعطته إياها، فلما ملأها وهمت أن تتناولها منه شمرت عن زندين كالبلور حسنًا ونوراً ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجهها كأنما تعير الشمس منه ضياء فوقع فى قلبه حب مكين لها، فشكا إلى صديق له وسأله عن اسم الجارية، فقال: هى رملة بنت أثيلة، وأعلمه بمكانها، فكان يمضى فى كل يوم فيقف حتى

يراها فيشكو إليها ما عنده من الحب حتى داخلها من العشق ما داخله، فعلم أهلها بذلك فحجبوها عنه فخرج حزينًا خائفًا فرأى حمامات على أراكة ينحن فهاجت بلابله وأنشد:

دعت فوق أغصان من الأيك موهنًا ... مطوقة ورقاء فى إثر آلف
فهاجت مفاعيل الهوى إذ ترنمت ... وشبت ضرام الشوق بين المعاطف

ثم أظلم الظلام فسمع قائلاً يقول:

ولا شيء بعد اليوم إلا تعلة ... من الطيف أو تلقى بها منزلاً قفرا

فهاج قلقه وسار فإذا براع يقول:

كفى بالليالى مخلقات لجدة ... وبالموت قطاعًا حبال القرائنِ

فلما سمع هذا البيت خرَّ مغشيًا عليه فحملوه إلى بيته فلما أفاق أنشد يقول:

يا راعى الضان قد ألقيت لى كمدًا ... يبقى ويقلقنى يا راعى الضانِ
نعيت نفسى إلى روحى فكيف إذا ... أبقى ونفسى فى أثناء أكفانى
لو كنت تعلم ما أسررت فى كبدى ... بكيت مما تراه اليوم أبكانى

فلم يزل يردده حتى مات.

* * *

الفتى العاشق

قال عبد الملك بن محمد: خرجت من البصرة أريد الحج فإذا أنا بفتى نضو قد نهكه السقام يقف ناظرًا فى كل محل وهودج يمر من هناك، فعجبت منه ومن فعله، فقال:

أحجاج بيت الله فى أى هودج ... وفى أى خدرٍ من خدوركم قلبى
أأبقى أسير الحب فى دار غربة ... وحاديكم يحدو بقلبى فى الركب

فلم أزل أقف عليه حتى جاء إلى المنزل: فاستند إلى جدار ثم قال:

خلٌ فيض الدمع ينهملُ ... بان من تهواه فارتحلوا
كل دمعٍ صانه كلف ... فهو يوم البين مبتذل

ثم تنفس الصعداء وشهق شهقة فحركته فإذا هو ميت.

الأعرابى ومحبوبته

قال ابن الزهرى: خرجت فى نشدان ضالة لى فآوانى المبيت إلى خيمة أعرابى، فقلت: هل من قرى؟ فقال لى: انزل، فنزلت، فثنى لى وسادة وأقبل علىّ يحدثنى ثم أتانى بقرى فأكلت، فبينا أنا بين النائم واليقظان إذا بفتاة قد أقبلت لم أر مثلها جمالاً وحسنًا، فجلست وجعلت تحدث الأعرابى ويحدثها إلى أن طلع الفجر ثم انصرفت، فقلت والله لا أبرح موضعى هذا حتى أعرف خبر الجارية والأعرابى، فمضيت فى طلب ضالتى يومًا ثم أتيته عند الليل، فأتى بقرى، فبينا أنا بين النائم واليقظان وقد أبطأت الجارية عن وقتها قلق الأعرابى فكان يذهب ويجىء وهو يقول:

ما بال مية لا تأتى لعادتها ... أعاجها طرب أم صدها شغلُ
لكن قلبى عنكم ليس يشغله ... حتى الممات وما لى غيركم أمل
لو تعلمين الذى بى من فراقكم ... لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقمًا ... تكاد من حره الأعضاء تنفصل
لو أن عادية منه على جبل ... لماد وانهد من أركانه الجبل

ثم أتانى فنبهنى وقال لى: إن خلتى التى رأيت بالأمس قد أبطأت علىّ وبينى وبينها مسافة طويلة لا آمن عليها من سبع أو مفترس فابقَ هنا لأبحث عنها، ثم مضى فأبطأ قليلاً، ثم جاء بها يحملها بين يديه وقد فتك بها أحد السباع فوضعها بين يدى، ثم أخذ السيف ومضى، فلم أشعر إلا وقد جاء بالأسد مقتولاً، ثم أنشأ يقول:

ألا أيها الليث المضرُّ بنفسه ... ضللت لقد جرّت يداك لك الشرا
أخلفتنى فردًا وحيدًا مولهًا ... وصيرت آفاق البلاد بها قبرا
أأصحب دهرًا خاننى بفراقها ... معاذ إلهى أن أخون بها دهرا

ثم قال لى هذه ابنة عمى كانت عزيزة علىّ فمنعنى أبوها أن أتزوجها، فزوجها رجلاً من أهل هذه البيوت فخرجت من مالى كله ورضيت بالمقام هنا على ما ترى، فكانت إذا وجدت خلوة أو غفلة من زوجها أتتنى فحدثتنى وحدثتها كما

رأيت من سلامة النية وطهارة الفؤاد، وقد آليت على نفسى ألا أعيش بعدها، فأسألك بالحرمة بيننا إذا أنا مت فالففنى وإياها بهذا الثوب وادفنا فى مكاننا هنا واكتب على قبرنا هذا الشعر:

كنا على ظهرها والدهر فى مهلٍ ... والعيش يجمعنا والدار والوطنُ
ففرق الدهر بالتصريف فرقتنا ... فاليوم يجمعنا فى بطنها الكفن

ثم اتكأ على سيفه فخرج من ظهره فسقط ميتًا، فلففتهما فى الثوب وحفرت لهما فدفنتهما فى قبر واحد وكتبت عليه كما أمرنى.

* * *

عبد الله بن المعمر وعتبة وريًا بنت الغطريف

قال عبد الله بن معمر: حججت سنة إلى بيت الله الحرام فلما قضيت حجى عدت إلى زيارة قبر النبى، فبينما أنا ذات ليلة جالس فى الروضة بين القبر والمنبر إذ سمعت أنينًا رقيقًا بصوت رخيم فأنصت إليه وإذا هو يقول:

أشجاك نوح حمائم السدر ... فأثار منك بلابل الصدرِ
أم ساء حالك ذكر غانية ... أهدت إليك وساوس الفكرِ
يا ليلة طالت على دنفٍ ... يشكو الغرام وقلة الصبر
أسهرت من يصلى بحر جوى ... متوقدٍ كتوقد الجمر
فالبدر يشهد أننى كلفٌ ... صبٌ بحبٍ شبيهة البدر
ما كنت أحسب أننى كلفٌ ... حتى بليت وكنت لا أدرى

ثم انقطع صوته ولم أدر من أين جاءنى، فبقيت حائرًا، وإذا به أعاد الأنين وأنشد يقول:

أشجاك من ريا خيالٌ زائرُ ... والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى بسهاده ... وأهاج مهجتك الخيال الزائر
ناديت ليلى والظلام كأنه ... بحر تلاطم فيه موج زاخر
يا ليل طلت على محبٍ ما له ... إلا الصباح مساعد وموازر
فأجابنى لا تشكونّ إطالتى ... إن الهوى لهو الهوان الحاضر

فنهضت إليه عند ذلك أقصد جهة الصوت فرأيته غلامًا فى غاية الجمال لم ينبت له عذار بعد، فقلت له نعمت غلامًا، فقال: ومن أنت؟ قلت: عبد الله بن معمر القسيس، قال: أفلك حاجة؟ قلت له: كنت جالسًا فى الروضة فما راعنى هذه الليلة إلا صوتك فبنفسى أفديك ما الذى تجده؟ قال: اجلس، فجلست، قال: أنا عتبة بن الحباب بن المنذر الأنصارى غدوت إلى مسجد الأحزاب فبقيت راكعًا وساجدًا، ثم اعتزلت أتعبد وإذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفى وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت علىَّ وقالت: يا عتبة، ما تقول فى وصل من يطلب وصلك؟ ثم تركتنى وذهبت، فلم أسمع لها خبرًا ولا وقفت لها على أثر وها أنا حيران أنتقل من مكان إلى مكان، وصرخ وانكب على الأرض مغشيًا عليه، ثم أفاق كأنما صبغت ديباجة خديه وأنشأ يقول:

أراكم بقلبى من بلادٍ بعيدةٍ ... تراكم ترونى بالقلوب على بعدِ
فؤادى وطرفى يأسفان عليكم ... وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكم ... ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

فقلت له: يا عتبة يا ابن أخى تب إلى ربك واستغفر من ذنبك فإن بين يديك هول الموقف، فقال هيهات ما أنا سالٍ حتى يثوب القارظان ولم أزل معه حتى طلع الفجر فقلت له: قم بنا إلى المسجد فقام فجلسنا فيه حتى صلينا الظهر وإذا بالنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن: ما ظنك بطالبة وصلك، قال: وما بالها؟ قلن: أخذها أبوها وارتحل إلى السماوة، فسألتهن عن اسم الجارية فقلن: ريا بنت الغطريف السليمى فرفع رأسه وأنشد:

خليلى ريا قد أجد بكورها ... وسارت إلى أرض السماوة عيرها
خليلى إنى قد غشيت من البكا ... فهل عند غيرى عبرة أستعيرها

فقلت له: يا عتبة إنى وردت بمال جزيل أريد به ستر أهل المروءة لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا فقم بنا إلى مجلس الأنصار، فقمنا حتى أشرفنا على ملئهم فسلمت عليهم فأحسنوا الرد، ثم قلت: أيها الملأ، ما تقولون فى عتبة وأبيه؟ قالوا: من سادات العرب، قلت اعلموا أنه رمى بداهية الهوى فأريد منكم المساعدة إلى السماوة، فقالوا: سمعًا وطاعة، فركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على مكان بنى سليم، فعلم الخارجون بمكاننا فخرج مبادرًا واستقبلنا وقال: حييتم

يا كرام، فقلنا له: وأنت حييت، إنا لك أضياف، فقال: نزلتم بأكرم منزل رحب، فنزل ثم نادى: يا معشر العبيد انزلوا، فنزلت العبيد وفرشت الأنطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم، فقلنا نحن لا نذوق طعامك حتى تقضى لنا حاجتنا، قال وما حاجتكم؟ قلنا نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر العالى الفخر الطيب العنصر، فقال: يا إخوانى إن التى تخطبونها أمرها لنفسها وأنا أدخل وأخبرها، ثم نهض مغضبًا ودخل إلى ربا، فقالت: يا أبت ما لى أرى الغضب بائنًا عليك، فقال: ورد علىّ قوم من الأنصار يخطبونك منى، فقالت: سادات كرام استغفر لهم النبى عليه السلام فلمن الخطبة فيهم؟ فقال لها: لفتى يعرف بعتبة ابن الحباب، قالت: سمعت عن عتبة هذا أنه يفى بما وعد ويدرك ما طلب، فقال: أقسمت لا أزوجك به أبدًا فقد نمى إلىّ بعض حديثك معه، قالت: ما كان ذلك، ولكن أقسمت أن الأنصار لا يردون مردًا قبيحًا فأحسن لهم الرد، قال بأى شىء، قالت: أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون، قال: ما أحسن ما قلت، ثم خرج مبادرًا فقال: إن فتاة الحى قد أجابت ولكن تريد لها مهرًا لائقًا بها فمن القائم به؟ فقلت: أنا، قال: أريد لها مهرًا ألف أسوار من الذهب الأحمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الأبراد وخمسة أكرسة من العنبر، فهل أجبت؟ فقلت: أجبت وأنفذت نفرًا من الأنصار إلى المدينة المنورة فأتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام فأقمنا على هذه الحال أربعين يومًا، ثم قال: خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف، ثم ودعنا وانصرف، وسرنا حتى بقى بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة، ثم خرجت علينا خيل تريد الغارة فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف وبه طعنة ثم سقط إلى الأرض، وأتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه، فقلنا واعتباه فسمعت الجارية ذلك فألقت نفسها عن الناقة وانكبت عليه صائحة نائحة وأنشدت تقول هذه الأبيات:

تصبرت لا أنى صبرت وإنمـــا ... أعلل نفسى أنهـــا بك لاحقـهْ
ولو أنصفت روحى لكانت إلى الردى ... أمامـــك من دون البرية سابقـهْ
فما أحـد بعدى وبعـدك منصف ... خليلاً ولا نفسٌ لنفسى موافقـهْ

ثم شهقت شهقة واحدة وأسلمت الروح، فحفرنا لهما قبرًا واحدًا وواريناهما

التراب ورجعت إلى ديار قومى وأقمت فيه سبع سنين، ثم عدت إلى الحجار ودخلت المدينة المنورة للزيارة، فقلت لأعودن إلى قبر عتبة، فأتيت إليه فإذا عليه شجرة عالية عليها عصائب لطيفة الألوان، فقلت لأرباب المنزل: ما يقال لهذه الشجرة؟ فقالوا: شجرة العروسين، فأقمت عند القبر يومًا وليلة وانصرفت.

* * *

مصرع ثلاثة عشاق فى يوم واحد

كانت فتاة جميلة تهوى شابًا لطيفًا للغاية، وكان الشاب يهوى قينة بديعة الصوت فتانة الملامح لها معرفة بتلك الفتاة، فبينما كانت تلك القينة فى مجلس مع الشاب أنشدت له هذين البيتين:

علامات ذل الهـوى ... على العاشقين البكا
ولا سيمـا عاشقٌ ... إذا لم يجد مشتكى

فقال لها الشاب: أحسنت يا سيدتى أفتأذنين لى أن أموت، فقالت له القينة: نعم إن كنت عاشقًا فمت، فوضع الشاب رأسه على وسادة وأغمض عينيه، فحركوه فإذا به ميت، ولما سمعت الفتاة التى تهواه بخبر موت حبيبها توسدت على منواله فحركوها فإذا بها ميتة، فجهزوها مع الشاب وساروا فى جنازتهما، فبينما هم فى الطريق رأوا جنازة ثالثة فسألوا عنها فإذا هى جنازة القينة، فدفنوا الثلاثة فى يوم واحد.

* * *

غسان بن جهضم وزوجته أم عقبة

كان غسان بن جهضم مفتونًا بحب ابنة عمه أم عقبة وكانت من أجمل النساء وأحسنهن وأفضلهن خصالاً، فلما حضرته الوفاة جعل ينظر إليها ويبكى، ثم قال لها: إنى منشدك أبياتًا أسألك فيها عما تصنعين بعدى وأرجوك أن تصدقينى، فقالت: قل فوالله لا أكذبك أمرًا، فأنشد:

أخبرى بالذى تريدين بعـدى ... ما الذى تضمرين يا أم عقبهْ
تحفظينى من بعد موتى لما قد ... كان منى من حسن خلقٍ وصحبهْ
أم تريدين ذا جمـال ومـالٍ ... وأنا فى التراب رهن سجن وغربهْ

فأجابته:

قد سمعنا الذى تقول وما قـد ... خفته يا خليل من أم عقبهْ
سوف أبكيك ما حييت شجوًا ... بمـراثٍ أقولهـا وبنـدبهْ

فقال:

أنا والله واثـقٌ بـك لكـن ... ربما خفت منك غـدر النسـاء
بعد موت الأزواج يا خير من عو ... شر فارعى حقى بحسن وفـاء
إننى قد رجوت أن تحفظى العهـد ... فكـونى إن مت عند رجـائى

فلما مات توافد عليه الخطاب، فقالت:

سأحفظ غسانًا على بعـد داره ... وأرعاه حتى نلتقى يوم نحشرُ
وإنى لفى شغل عن النـاس كلهم ... فكفوا فما مثلى من الناس يغـدر
سأبكى عليـه مـا حييت بعبرةٍ ... تسيل على الخدين منى فيكثر

فلما طالت الأيام وكثر إلحاح الناس أجابت الخاطب، فلما كانت الليلة التى زفت بها جاءها غسان فى النوم فأنشد:

غـدرت ولم ترعى لبعلك حرمـةً ... ولم تعرفى حقًا ولم تحفظى عهدا
ولم تصبرى حولاً حفاظًا لصاحبٍ ... حلفتِ له يومًا ولم تنجزى وعـدا
غدرت به لما ثوى فى ضريحـه ... كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها، فقالت لها النساء: ما دهاك؟ قالت: ما ترك غسان لى فى الحياة أربًا ولا فى السرور رغبة، أتانى فى المنام فأنشدنى هذه الأبيات ثم جعلت ترددها وتبكى، فشاغلتها بالحديث، فلما غفلن عنها أخذت شفرة فذبحت نفسها ووفت لزوجها.

٭ ٭ ٭

شهيدة الوفاء

اتهمت الحكومة امرأة بقتل زوجها لعدم معرفتها أين مقرّه فدفعت للتعذيب وكانت بريئة فأذعنت إلى ذاك الحكم دون أن تبرئ نفسها لأنها قد سئمت حياتها بعيدة فشنقوها، وبعد يومين عاد زوجها وطالب بحقوق امرأته فكذبوه فبرهن على أنه زوجها فلم ينظروا إلى كلامه فسار هائمًا على وجهه يأسًا من الحياة.

* * *

شهيدة الحب

منظومة بقلم جامع الكتاب

لله موقف غادة ... عبثت بمهجتها الشجون
لعب الهوى بفؤادها ... غصنًا تتيه على الغصون
فتقصفت أوراقها ... حتى علا منها الأنين
ما تلك أوراق جنتها ... قطُّ أيدى الغارسين
حتى تعود فتنجلى ... للعين زهراء الجبين
تلك الجوارح إنما ... رقت لتكسير الجفون
فجنى عليها الوجد ما ... لم تجنهِ نبل العيون
من نظرة قد غادرت ... فى قلبها السهم المكين
سهم بدا عن قوس حا ... جب أهيف يرمى الفتون
فغدت تقول بلوعة ... أماهِ هلا تعلمين
قد جاءنى وحى الخفا ... أنى سأقضى بعد حين
فحنت عليها أمها ... تبكى بكاء الخائفين
بيدٍ تضم فؤادها ... كالطير ضمته الغصون
وغدت تقول بلهفة ... لله ما هذى الظنون
ما أنت إلا وردةٌ ... حجبت فأنى تقطفين

تحيين مـا بكـت السحـا ... ثب أو جـرت مـاء العيون
فبكـت بنيتهـا بدمـع ... هاجـه الداء الدفيـن
وثنت غصيـن قوامهـا ... تشكـو ولكن لا معيـن
وتقـول مـن وله إلـ ... ـهى ارحم قلوب العاشقين
واغفر لهـم زلاتهـم ... فلأنـت خيـر الغـافرين
حتى إذا بسـم الصبـا ... حُ وفتحت منه الجفـون
نظرت فخـالج طرفهـا ... شبحٌ رأته منـذ حيـن
فدنت بجـاذب شوقهـا ... حتى إذا التقـت العيون
ورأت حبيـب فؤادهـا ... يدنـو وتحجبه الغصـون
قالـت وقـد نشر الحيـا ... ءُ لواءه فـوق الجبيـن
أهـلاً بمـن ملك الفـؤا ... دَ هـواه دون العـالمين
فأجابهـا ذاك الفتى ... فرحـا بلقياهـا حزين...
يا من حـوت ورد الريا ... ض بخدها الباهى المصـون
من لى بأن يبنى الهـوى ... منـا عـلى عهـدٍ متين
فتعـاهـدا حتى إذا ... وافى حماهـا بعـد حين
نظـر الفتـى فى وجههـا ... دمعًا فهاجتـه الشجـون
وارتـاب فى حب الفتـا ... ة لهُ وراعتـه الظنـون
ورنـا إليهـا قـائـلاً ... بالله مـاذا تشتكيـن
قالت وقـد بسط المـا ... ت جناحه فـوق الجبيـن
أشكـو شـرابًا صبـه ... الرحمن فى كأس المنون
وأتـت به الأقـدار تسـ ... ـعى نحو ذا القلب الحزين
فبكى الفتى جزعًا وصـا ... ح بلهفة أنى يكون...
أبيقظـةٍ يا أذن أم ... فى الحلم ما قد تسمعين
فأجابه مـن عـالم النجـ ... ـوى لسـان العاشقيـن
هيهات قد حكم القضـا ... ء وذاك أقوى الحـاكمين
بجنى غصيـن قد حـلا ... منه الجنى دون الغصون
فاصبـر على بلـواكِ إن ... الله يجـزى الصـابرين

فجثا الفتى جزعًا وصـا ... ح حبيبتى هـل تسمعين
لا لا فـذاك يروع قلـ ... ـبـك ذكره لو تعلمين
ما زلت فى مهـد الصبا ... مـن روض حسنك ترتعين
فبكـت حبيبتـه وقـا ... لت تلك يا قلبى ظنون
فادنـو حبيبى للـوداع ... قبيـل أن يدنـو المنـون
ويـروع قلبينـا بنـأى ... لا لقـاء له يكـون
فبكى وقـال حبيبتـى ... بالله مـاذا تكتمين
وأراد تخفيف الجـوى ... منهـا وإبداء الحنين
وإذا بهـا سقطـت تجلـ ... ـلل ورد خديها الغصون
فدنـا ينازعهـا الفنـا ... ندمًا ولكن لات حين . . .
ويقـول يا عـذراء رفـ ... ـقًا بى وبالقلب الحزين
حتى إذا هـدأ الظـلا ... م وعم فى الأرض السكون
سمع الفتى من نحـوها ... صـوتًا يخـامره الأنين
وهتـاف وحيٍ قائلٍ ... وا رحمتـا للعـاشقين

* * *